

أمثلة من الترجمة

Jonas Lüscher
Kraft

C. H. Beck Verlag, München 2017
ISBN 978-3-406-70531-1

صفحات 50-64

يوناس لوشير
"كرافت"

ترجمة معتز مغاوري

JONAS
LÜSCHER

KRAFT



الفصل الرابع

" لا وجود للقوة من دون الخير". - أونوريه دي بلزاك

يحب "كرافت" التجديف، لكنه لا يستخدم يديه الاثنتين معًا، بل يفضّل التجديف بيدٍ واحدة. ولأنه يفتقد بشدة الإبحار بهدوء في مياه نهر الـ"نيكار" الألماني في ساعات الصباح الباكر، تلك العادة اليومية وذلك الانسياب السريع بالقرب نحو الهدف يشعرانه بالتقدم، فبدأ يعتقد أن اشتياقه لتلك العادة اليومية هو سبب أزمته الفكرية، وأن النصف ساعة التي قضاها على أحد الأجهزة الرياضية المطلية بالأبيض وغير القابلة للتحريك من مكانها في الصف - بمركز "أريلاجا" العائلي الرياضي بجامعة "ستانفورد" - قد تكون بديلًا بئسًا في أفضل الأحوال، بل وربما أدت إلى تفاقم أزمته أيضًا. اقترض سيارة "إيفان" الـ"فورد برونكو" القديمة. وذهب بعد الظهر إلى ميناء مدينة "ريد وود" حيث يقع نادي التجديف التابع للجامعة على خليج ضحل.

أعطاه أحد الطلاب قاربًا صغيرًا. بعد أن قام الاثنان بإنزال القارب خفيف الوزن - الذي يتسع عرضه بالكاد لفرد واحد - في الماء، قام "كرافت"

بتسخين عضلات ذراعيه وعضلات صدره العريض. برزت عضلات صدره تحت شعار جامعة "ستانفورد" المطبوع باللون الأحمر اللافت للنظر على التيشيرت الرياضي.

كان "كرافت" قد اشترى هذا التيشيرت في صباح اليوم نفسه من متجر جامعة "ستانفورد"، كانت ذكرى الليلة الماضية ما زالت تطارده في عقله الباطن، وشعر بضرورة حجب صوت ضوضاء وإزعاج الكنيسة. خطرت بباله فكرة الهروب من كل ذلك عن طريق التسوق. إنها استراتيجية تنفع أحيانًا، لأن شراء الأشياء يتطلب على الأقل حد أدنى من التفاؤل. لهذا أراد شراء الأعمال الكاملة لـ "هنري جيمس" في طبعة جديدة فاخرة، على أمل أن الحياة ستستمر بطريقة أو بأخرى؟

كان يأمل أنه يستطيع الاعتماد على هذه الدفعة من الشعور بالتفاؤل ليتقدم بها خطوة تلو الأخرى بصعوبة حتى يصل إلى درجة من التفاؤل لا يبدو عندها أن التفكير في "لماذا كل شيء على ما يرام" عبثيًا. لكن عندما وقف في الطابور ليدفع ثمن الثلاثين كتاب المقسمة إلى ست مجموعات، أخذ يتصبب عرقاً على الرغم من هواء التكييف البارد. وفجأة، بدا له أن شراء تلك المجموعة الكاملة أمرٌ عبثيٌّ وبلا مغزى. لأنه سيدفع على الأقل 80 دولار وزن زائد لتلك الكتب عند العودة، علاوة على أنه سيحتاج إلى شراء حقيبة جديدة، كما أن التفكير في كونه مضطراً لقراءة ثلاثين كتاب لـ "هنري جيمس" جمّد العرق على جبهته. واضطر لإعادة

الكتب مرة أخرى على عكس رغبته، مع وعيه الكامل أن فشله في شراء تلك الكتب قد تسبب في إفساد يومه تمامًا.

لهذا استغل الفرصة لبحث في الطابق الخاص بالمنتجات الترويجية لجامعة "ستانفورد"، عن هدايا تذكارية لابنتيه. تجوّل بين حوامل سلاسل المفاتيح ورفوف أكواب القهوة وستائر الحمام والملابس الرياضية. شعر بالحيرة وهو يفكر كيف يمكنه إسعاد ابنتيه؟ لا يعرف مقاس ابنتيه في التيشيرتات والجاكيتات، كما أن حجم جسدا ابنتيه يتغير باستمرار أمام عينيه مع كل قطعة ملابس يمسكها أمامه ليقارن بين المقاسات. ولهذا لم يعد يستطيع أن يحدد إذا كان طول ابنتيه يصل إلى صدره أم إلى خصره فقط، أو إذا كان كتفيهما النحيفان أصغر من عرض شماعة الملابس أم أكبر. أمسك "كرافت" بكاب بيسبول أحمر، وحقيبة ظهر عليهما شعار الجامعة. يمكنهما استخدام حقيبة الظهر على حد علمه.

في طريقه للخزنة أخذ تيشيرتًا رياضيًا لنفسه. كانت تقف أمامه في الطابور طالبة ترتدي ما يشبه زي موحد غير رسمي. وجده "كرافت" مزعجًا بطريقة ما. كانت ترتدي حذاءً رياضيًا وتيشيرتًا وشورتًا رياضيًا قصيرًا جدًا. لم يستطع تجنب النظر إليها. كان الشورت الرمادي بالكاد يغطي مؤخرتها، ومطبوع عليه من الخلف اسم جامعة ستانفورد بحروف كبيرة. شعوره بالانزعاج لم يكن لأنه وجد هذا المنظر مثير جدًا، بل على العكس، هو لم يشعر بأدنى صدمة حيال تلك الملابس. فهو لا يتذمر بسبب الطالبات اللاتي ترتدين ملابس تكشف أجسادهن، بل سيدع هذا التذمر

لغيره. بدت له هذه الملابس غير مناسبة بطريقة ما، لأنها تشير إلى الاهتمام بالرياضة التي يجدها متعارضة مع إعمال العقل، حتى مع وجود علاقة وثيقة بين الرياضة والدراسة الجامعية في أمريكا.

كان "كرافت" شاهدًا على وعد "إيفان" لطلابه في محاضرة بأنهم سيصبحون في نهاية الفصل الدراسي مُدربين جيدًا على فلسفة "هايدجر". وجد "كرافت" استخدام لفظ "مُدربين جيدًا" غير مناسب ليُذكر مع المفكر الألماني، بل مناسب أكثر لوصف رياضة رمي الرُمح أو قفز الحواجز. لم يكن الشورت القصير هو ما لفت انتباهه في المقام الأول، بل ساقى الفتاة النحيفتين كسيقان الدجاج. بدتا وكأنهما قد كبرت فجأة. لابتناه السيقان النحيفة نفسها. استدار "كرافت" وخرج من طاوور الخزنة معتذرًا للواقفين وعلّق القبعة وحقية الظهر على أقرب رف وأخذ يبحث عن الشورت القصير. أخذ شورت أزرق فاتح وآخر رمادي وذهب عائداً في اتجاه الخزنة. في منتصف الطريق إلى الخزنة استدار مجدداً واستبدل الشورت الرمادي بأخر أزرق فاتح مماثل للشورت الأول. جعله هذا الشراء يشعر بسعادة أكبر من التي كان ليشعر بها إذا اشترى المجموعة الكاملة لـ "هنري جيمس".

وبهذا القدر من الحماس جلس "كرافت" من جديد في برج "هوفر" ليواصل العمل على إجابة سؤال المسابقة. قام بكتابة فقرة طريفة تعليقاً على ملاحظة الروائي الفرنسي "ستندال" بـ"أن العذر الوحيد للرب، هو عدم وجوده". ثم انتقل بذكاء إلى بعض الأفكار حول استقلال وتمكين

الإنسان. تلك الأفكار التي يجب أن تكون محور فلسفة "التيوديسيا" الحديثة. لكن عند التفكير في أن داء الفشل يتحوّل في "وادي السليكون" إلى ترياق النجاح "المقدس"، تعثّر "كرافت". لم يعرف كيف سيستغل تلك الفكرة لتكون سببًا للتفاؤل. ولاحظ أن قدرته على الإبداع تتلاشى سريعًا، لذلك جمع أشيائه واقترض سيارة "إيفان" ذات الدفع الرباعي وبحث عن نادي التجديف الخاصة بالجامعة وسط الفوضى المربكة من المباني ذات الأسقف المسطحة التي تستوطنها شركات التكنولوجيا، والبرمجيات، والمراكز التجارية، والمنشآت الصناعية، والمنازل الثرثة. أوقف السيارة في جراج نادي التجديف. أثناء غلق السيارة خفض رأسه في فزع عندما سمع صوت طائرة صغيرة قادمة من مطار "سان كارلوس" القريب مرت فوق رأسه مثل خنفساء طائرة كسولة.

أخذ يتفقد الخليج أو ما يمكنه رؤيته منه بعينه. كان عبارة عن قناة مائية مالحة وضيقة. تمتد خلف القناة جزيرة "بير"، وهي أرض مسطحة من الرواسب ذات اللونين الأحمر والبني، تمر عبرها العديد من القنوات المائية المتعرجة وعلى أطرافها تظهر أبراج كهرباء الضغط العالي. إن هذا ليس نهر "النيكر" بالتأكيد، لكن "كرافت" بحالته هذه لا يستطيع ولا يريد أن يعوقه شيء عن خطواته التالية. وعلى الرغم من قيامه بتسخين عضلاته ليحاول أن يثبت مهارته في التجديف، رفض الطالب تزويده بالمجادفين وقال لـ "كرافت": "لا، إن المجاديف يمكن الحصول عليها من "هيرب" فقط. مع شرح تفصيلي لوضع المد والجزر في محيط الجزيرة".

كان "هيرب" رجلاً ذا ذقن بيضاء صغيرة. كان يرتدي نظارة شمس غريبة وملونة جعلت من عالم فيزياء نحيف متقاعد مثله يبدو مشبوهًا. جعلت تحية الرجل "Hey Buddy" "كرافت" يلجأ إلى وضع الدفاع. بذل مجهودًا ليتابع المحاضرة المعقدة عن المد والجزر والتيارات المائية والممرات الضيقة والمجري المائية. لكنه لا يكون أبدًا في قمة قدراته العقلية وهو في وضع الدفاع ودائمًا ما يميل إلى إسقاط درع الحماية عن عقله، فتستحوذ على أفكاره "هايك" وابتناؤه التوأم و"روث" وزهرة "الجربيرا" الصفراء، فتدفع تلك الأفكار محاضرة "هيرب" إلى الخلفية. كانت المحاضرة تدور الآن حول قناتي "كوركسكرو" و"شتاينبرجر" وحول مسألة التجديف مع عقارب الساعة أم عكس عقارب الساعة، وهو ما لا ينصح به بسبب حالة المد والجزر الحالية، لكونه خطر على الحياة. هز "كرافت" رأسه بالإيجاب ليظهر أنه يفهم ما يُقال.

أكمل "هيرب" المحاضرة: "ممنوع تمامًا الاقتراب لمسافة معينة من كلاب البحر. فالجزيرة بأكملها محمية طبيعية والسير فيها ممنوع باستثناء بعض الطرق القليلة. حذره "هيرب" من أن أمامه خمسين دقيقة فقط لعمل جولة بالقارب، بعدها سيصبح الأمر خطيرًا وسيصبح المرور عبر بعض المناطق مستحيلًا. في النهاية ترك "هيرب" المجذافين من يده وأعطى "كرافت" حقيبة مقاومة للماء ليضع فيها موبايله، الذي لن يسمح له "هيرب" الإبحار بدونه تحت أي ظرف. صعد "كرافت" إلى القارب الذي أخذ يتأرجح بشدة. يبدو أنه فقد اتزانه بسبب تذكر نسائه الأربع

ومحاضرة "هيرب". كان متأكدًا من أن "هيرب" يراقبه بنظرات شك من وراء نظارته الغريبة.

شعر "كرافت" بعضلاته وهي تتحرك أسفل التيشرت الجديد بعد ضربات قليلة بالمجداف، انطلق القارب ووجد "كرافت" أخيرًا الهدوء الذي لطالما اشتاق إليه. عليه الآن أن يعترف أنه قلل من شأن المكان. بعد مئاتٍ من الأمتار، كان قد ترك الميناء خلفه وانعطف بمهارة عبر ممر ضيق ليدخل إلى قنال "كروكسكرو" ليجد نفسه مباشرة أمام عالمٍ من طيور شمال "كاليفورنيا". شاهد أمام عينيه طيور "البلسونيات" تعشش على الأرض العشبية المسطحة وهي تمد رقابها لتراقبه. والبط بألوانه المختلفة يسير خلف القارب ببطء. وصقر يقف على عمودٍ خشبي.

توقّف "كرافت" عن التجديف وترك المجدافين. أخذ يبحث عن الحقيبة البلاستيك التي وضع فيها الموبايل خلف ظهره ليصوّر هذا التنوع الهائل من الطيور، حتى يستطيع أن يحدد أسمائها بعد ذلك بمساعدة كتاب "ماكينزي"؛ "كل شيء عن الطيور". ليس لأنه مهتم جدًا بالطيور، بل لأنه ما زال تحت تأثير صدمة خطؤه في التعرف على طائر "شرشور كاسان الأرجواني". أو على الأقل يمكنه أن يستغل ساعات الأرق - التي يخشى أن تتكرر - في شيء مفيد.

ترك "كرافت" للتيار توجيه القارب بينما استخدم الـ"زووم" محاولاً تقريب رؤوس الطيور عن طريق تحريك إصبعيه على شاشة الموبايل، كما لو أنه يشد جفني الموبايل بعيدًا عن بعضهما لبيحث عن رمش. علمته

ابتناه التوام تلك الحركة. ولأن "كرافت" لم يستطع أن يكبر الصورة بالقدر الكافي، مال على حافة القارب الضيق ممّا جعل القارب يتأرجح بشدة. صار على "كرافت" أن يمسك المجدافين حتى لا ينقلب المركب. على من يتهم "كرافت" بالتهور أن يشرح لنا كيف يمكنه أن يمسك المجدافين بسرعة البرق ويحتفظ بالموبايل بين أصابعه في الوقت نفسه مثلما حاول "كرافت" أن يفعل. وأن يحاولوا الربط بين صوت اصطدام خفيف بسطح الماء وحقيقة أن حركته الفنية تلك لم تنجح حتى بعد أن استعاد توازنه.

انتظر "كرافت" حتى تهدأ ضربات قلبه بعد أن زاد إيقاعها بفعل الخوف المضاعف، ثم ألقى باللوم على نفسه ووصف نفسه بالمجنون وضرب بكف يده على جبهته ثلاث مرات بقوة. اكتشف سقوط الموبايل وجلس في القارب وألقى نظرة لوم على بطة تسبح حول قاربه. أمسك بالمجدافين مرة أخرى ليبتعد سريعًا عن هذا المكان الذي أصبح يمثّل له ذكرى مؤلمة.

إن قناة "كوركسكرو" معروفة بخطورتها. فهي متعرجة ودروبها ضيقة تمر عبر المستنقعات، كما لو كانت تريد أن توضح لـ"كرافت" مرة تلو الأخرى أنها تختلف تمامًا عن نهر "النيكار". بذل "كرافت" مجهودًا كبيرًا بشكلٍ منتظم في التجديف حتى أنهك وأوشك أن يُصاب بالتعب في الرقبة بسبب التفافه إلى الخلف باستمرار. لم يعد هناك مجالًا للإبحار ببطء والتأمل. جذب "كرافت" المجداف الأيسر بكل قوته وقام ببيضة ضربات ثم أمسك

بالمجداف الأيمن وقام بيضعة ضربات ليحدث توازن. كانت المنحنيات التي تبدو في البداية سهلة المراس تفسح المجال لطريق متعرج صعب ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى اصطدم القارب بالقاع محدثاً صوت احتكاك.

اهتز "كرافت" بفعل الاصطدام، ثم نجح في تحرير القارب من الطين بفضل استخدامه المجدافين بمهارة. في تلك الأثناء، خطر بباله كيف كان يجلس بمكان منخفض بالقارب وبالتالي لا يستطيع أن يرى الأرض أسفل القارب. بدأ يرى قمم المباني الإدارية المرتفعة وقمة الجبل من خلفها. كان الضباب يتحرك من فوق قمة الجبل - مثل كل مساء - ليصل إلى "وادي السليكون". لا بد أن مستوى المياه قد انخفض بشكل ملحوظ كان "هيرب" قد قال له إن مدة الجولة خمسين دقيقة فقط، لكن من أين له أن يعرف كم استغرق في الطريق بدون ساعة يده التي تركها في الخزانة وبدون موبايله؟ إنه يفتقد موبايله الآن بشكل مضاعف؛ لأنه أراد تصوير كلاب البحر التي افترشت فجأة الرمال الرطبة والمسطحات الطينية في خمبول تام وتحديق في "كرافت" بفضول وهو يجديف. فُكّر "كرافت" في أن تلك اللحظة كانت مناسبة لالتقاط صور يمكنه أن يبهر بها القتيات.

توجد هنا بالقرب منه على مسافة لا تزيد عن ثمانية أمتار مجموعة من كلاب البحر ترقد على الأرض. وأجسادها ملتصقة ببعضها تشبه الهوت دوج على الشواية. أخذ "كرافت" يحسب هل الثمانية أمتار أكثر أم أقل من 25 قدم؟ وهل قال "هيرب" 25 قدم أم 35 قدم؟ وقد تكون المسافة بينه وبين كلاب البحر اثنتي عشر متر. أما الثمانية أمتار فمصدرها القصة التي

اختلقها في رأسه ليرونها لابتتيه. علق "كرافت" في التحويل بين الياردة والقم والنظام المتري بسبب العلامات العشرية، وتاه في فوضى تلك الاختلافات في المقاييس بين العالمين؛ الأمريكي والأوروبي. "في التأيي السلامة وفي العجلة الندامة"، هكذا فكر "كرافت" وابتعد بقدرٍ كافٍ عن الأجساد المترهلة بقدر ما يسمح له الممر المائي.

كان من السهل عليه قول هذا، لكن من الصعب التنفيذ، لأن الممر المائي أخذ يضيق بسبب انحسار المد.. ارتفع الطين في كل مكان وسط المياه الضحلة، مما أجبر "كرافت" على الإبحار في طريق متعرج يقربه أكثر من كلاب البحر. الأمر الذي كان يريد تجنبه بعد أن شاهد أحد تلك الحيوانات الثقيلة يزحف خارجًا من المياه برشاقة تدعو للدهشة وفراءه مجعد في طيات عديدة تشبه الأكورديون. يزحف فوق الأرض ويصعد فوق رفاقه النائمين مما تسبب في صيحة اعتراضية عالية واندلاع العنف وسط القطيع المسالم. دوى صوت نباح وعواء وألم. رأى "كرافت" الأسنان البارزة في الأفواه المفتوحة عن آخرها، بينما ترتطم الصدور ببعضها. أكبر الحيوانات - كان بلا شك ذكر مثلما يعتقد "كرافت" - شعر على ما يبدو بالضيق بسبب الوافد الجديد الوقح، فنهض بجسده الضخم وأصدر صيحة تهديد لم تؤثر في "كرافت" ولا في الوافد الجديد.. عاد "كرافت" إلى التجديف.

سمع "كرافت" "هيرب" يقول "خمسين دقيقة فقط". يعرف "كرافت" أن الخمسين دقيقة قد مرت منذ فترة طويلة، لكنه لم يعد يستطيع أن يحدد إذا كان قد خرج في الجولة منذ ساعة أم ساعتين. لقد وصل الضباب إلي "وادي

السليكون" منذ فترة على أي حال، حيث قام مطوري البرمجيات وخبراء التسويق بأبراج المكاتب بإضاءة الأنوار، التي تبدو معتمدة بفعل الضباب. كان "كرافت" يأمل أن يتوقف الضباب عند الخليج، لكنه بعد فترة وجيزة لم يعد يستطيع أن يرى كلاب البحر، إلا عندما تتنفس ويصاب بالفزع عندما تطفو فجأة وتصدر أصوات عواء مخيف. على الأقل كان لديه انطباع أن الممر المائي أصبح أكثر عمقًا من جديد وأقل تعرجًا. وبدا له كذلك أن الطريق الآن يكاد يكون مستقيم.

وفي اللحظة التي سمع فيها صوت ماء مندفع بقوة، شعر أيضًا بتيار يدفع القارب ويحمله بسرعة أكبر إلى الأمام. حاول "كرافت" المقاومة ودفع بالمجدافين في الماء، لكن القارب تمايل بشدة. أدرك على الفور أنه لا جدوى من المقاومة. لف "كرافت" رقبته وبذل مجهودًا ليستكشف الطريق وسط الضباب. تحول الماء حول قاربه إلى دوامات صغيرة وموجات راقصة. فجأة ظهر من وسط الضباب جدار في ظروف غامضة. يوجد في وسط الجدار فتحة عريضة يتدفق عبرها الماء محدثًا رغوة بيضاء. ترك "كرافت" المجدافين وتشبث بالقارب، الذي أخذ يقفز ويتراقص ويتمايل. استطاع "كرافت" أن يحافظ على توازن القارب الصغير بشجاعة، لكن عند عبوره الفتحة العريضة ارتطم أحد المجدافين بالجدار ودار القارب حول نفسه. ألقى "كرافت" بجسده في يأس من جانب إلى آخر محاولًا الحفاظ على توازن القارب، لكن دون جدوى.

انقلب القارب. حرر "كرافت" قدميه بسرعة بديهية من الحذاء المثبت في القارب. غاص "كرافت" في الماء. ارتطمت ركبته بحجر في الماء. عند صعوده إلى سطح الماء، اصطدمت رقبته من الخلف بالقارب. غاص مجدداً في الماء البارد. دفعه تيار الماء وجعله يدور حول نفسه، مثل الغسالة أثناء دورة العصر. خلع الماء عنه بنظونه الرياضي. لمس "كرافت" مجدداً أرضاً صلبة يمكنه على الأقل أن يدفعها بقوة بينما يكتم أنفاسه حتى يصل إلى سطح الماء ويسبح بكل قوته. نجح "كرافت" أن يسبح بعيداً عن التيار، لكنه فقد القارب وبنظونه الرياضي كذلك. حاول "كرافت" بضربات قوية أن يتلمس طريقه وسط الضباب ليصل إلى الشاطئ.

بعد فترة وجيزة، شعر "كرافت" بأرض أسفل قدميه، لكنها لا تسمح له بالوقوف عليها. غاصت أصابع قدمه العارية في الطين والتفت أعشاب البحر حول عضوه الذكري وأخذت تداعب خصيتيه. كان قد حل الغروب، مدد "كرافت" جسده في الماء وهو يلهث. إنه لا يريد بأي حال أن يقع وسط قطيع كلاب البحر بالخطأ، أم أن هذا الوضع بالتحديد قد يكون أفضل له؟ عندئذ، سيزحف مثل صغار كلاب البحر على بطنه ويخرج من الماء ويعوى عواءً مثيراً للشفقة بعينين تملؤهما الثقة قبل أن تنزل العصا على رؤوسهم فتقتلهم، كما حدث في مقطع الفيديو الشهير على موقع اليوتيوب الذي عرضته عليه ابنتاه التوأم والدموع تملأ أعينهن. وبنام وسط الأجسام الدافئة ليستفيد من سمرة كلاب البحر الأخرى؟

ستصبح البرودة قريبًا مشكلته الكبرى، هذا ما وضعه "كرافت" في حساباته عند إدارته الحكيمة للكارثة التي يمر بها. أمسك "كرافت" بحزمة من الحشائش البحرية وتثبت بها وزحف على بطنه على الأرض وهو يلهث و جسده ملطخ بالطين. جلس على ركبتيه ونظر وسط الضباب. لا توجد كلاب بحر بالقرب منه.. لا أحد سيذفته. لا أحد سيضطر لمواجهته وجهًا لوجه.

نهض "كرافت" وتخلص من تيشيرت جامعة "ستانفورد" المبتل الذي أصبح باردًا على جسده. يقف الآن عاريًا في المستنقع. استعرض عضلات صدره وذراعيه. ألم ينبج من الموت للتو؟ ألم يحرر نفسه للتو من الخطر بفضل قوته؟ أليس هذا سببًا كافيًا لأن يقف شامخًا؟ يعرف "كرافت" أن تلك الطريقة الذكورية الاستعراضية المبتذلة للتعبير عن الثقة بالنفس تمثل في تلك اللحظة أهمية كبيرة له. ولو كان في حالته الطبيعية، لسخر من طريقته الاستعراضية تلك في أحسن الأحوال.

لكن مع أول رياح باردة هبت حول صدره العريض، شعر بحلمتي صدره تنكماش وانكمشت معهما ثقته بنفسه. لف "كرافت" ذراعيه حول جسده المنغمس في الماء وهو يرتعش بشدة، واستسلم تمامًا للجرح المؤلم في ركبته التي تنزف. إذًا سيموت هنا، متجمدًا في حالة يرثى لها، لا بل الأسوأ أن ينقذه "هيرب" فيجده عاريًا، ملطخًا بالطين، ينزف، عاجزًا. "هيرب" ذلك الحشرة النحيفة، عالم الفيزياء ونظرياته عن المد والجزر وسرعة التيارات والمسافات وإطاره الزمني. "هيرب" الذي يمثل له كل ما حدث مجرد

متغيرات في معادلة، يحذف منها كل ما هو غير ضروري. ماذا يعرف شخص مثل "هيرب" عن ارتباط الفرد بالعالم؟ عن أهمية الصدفة؟ عن جمال تلك الأشياء التي يعتبرها غير ضرورية؟ عن الألم؟ عن الإهانة؟ بالنسبة لشخص مثل "هيرب"، يمثل كل هذا لا شيء، مجموعًا صفيًا، لا مكسب ولا خسارة؛ حيث يمكن تعويض الشر بالخير. لا يعنيه على الإطلاق ماذا ألمَّ بك، فالأهم في النهاية أن تستقيم المعادلة. أهذا ما يطلق عليه المتلاعبون بالأرقام شفافية؟ ماذا يعرف شخص مثل "هيرب" عن الشفافية؟ تقريبًا التعظيم المجرد للحقائق.

لكن ماذا عن معاناة "كرافت" المادية؟ ماذا عن جسده العاري ونزيف ركبته؟ ماذا عن وحشية كلاب البحر؟ ماذا عن جمال طائر "البلشون"؟ لا "كرافت" لا يريد بأي حال أن ينقذه "هيرب" الذي يقدر النظام. لا يريد أن ينقذه عالم الفيزياء هذا. لابد أن ينقذ نفسه بنفسه. سيبحث عن طريق عبر المستنقع و يسبح ليعبر القناة ويصل الى حوض السفن. وربما ينجح إذا حالفه الحظ في أن يصل إلي خزائنه بنادي التجديف دون أن يلاحظه أحد، حتى لا يواجه "هيرب" بدون بنطلون. سيواجهه بدون قارب، لكن على الأقل ليس عاريًا، وأنقذ نفسه بنفسه.

سمع "كرافت" صوت الماء خلفه. بذل مجهودًا ليركز ويحرق وسط الظلام. هبت نسمة هواء باردة جعلته يرتجف، ولكنها أزاحت الضباب للحظة، وأتاحت له إلقاء نظرة على الأبراج الأسطوانية لشركة "أوراكل" التي تضيء وسط الظلام مثل البطاريات العملاقة. هذا جيد، فهو الآن يعرف

تقريبًا أين هو. عليه أن يستمر في التقدم نحو اليسار حتى يصل إلى القناة الكبيرة. ومن هناك يتبع أضواء الميناء.

أخذ يسير حافي القدمين في تردد - وهو الذي لم يسر حافيًا من قبل - ممًا أدى إلى عواقب مؤلمة. حيث أخذ العشب المدبب يشكه في باطن قدميه الحساسين. تمنى "كرافت" لو يستطيع أن يرى بصورة أفضل أين يضع قدميه، لكن الجو الآن مظلم تمامًا والضباب يحيط به من جديد بكثافة. اصطدمت أصابع قدمه بأحجار وفروع أشجار وقطع خشبية، وداس بقدمه فجأة في حفرة عميقة والتوى كاحله، فصرخ من الألم. إذا حدث تمزق في أربطة قدمه، سينتهي أمره. عندئذ، سيموت أو سينقذه "هيرب".

وضع "كرافت" كاحل قدمه الذي يؤلمه على الأرض، وتقدم بضع خطوات في تردد.. كاحله ليس بحالة سيئة. عرج "كرافت"، لكنه استمر في السير. سار ببطء شديد؛ لأن الأرض كانت تمتلئ بالحفر الطينية والبرك، وكل بضعة أمتار، يواجه مجرى مائي متعرج وسط الحشائش. شعر بلسعة في جرحه بسبب الملح، بينما صفعت الرياح جلده المبتل حتى شعر بعظامه ترتعش من البرودة. أحاط عضوه الذكري المنكمش بإحدى يديه لحمايته.

هل ستقرأ "يوهانا" خبر وفاته في الصحيفة؟ أم ستقرأ خبر إنقاذه المُخجل؟ ذلك الخبر الأخير يبدو له أكثر إحراجًا. أمّا القارئ المتعاطف، فقد يفسر الخبر الأول بحسن نية على أنه خبر بطولي مأساوي. هل ستنشر صحيفة "سان فرانسيسكو كرونكل" صورته؟ وتكتب عليها

"إنقاذ باحث ألماني عارٍ بجزيرة "بير"؟ هل سيكون هذا أول خبر تقرأه عنه في صباح الغد أثناء الإفطار بعد ثلاثين عامًا من إغضابه لها لدرجة جعلتها تغادر إلى كاليفورنيا إلى الأبد؟

عليه أن يعترف أنه يمكن أن يتقدم بشكل أفضل إذا سار على يديه وقدميه وسط الطين والوحل. أخذ يتلمس طريقه ويزحف إلى الأمام. عليه الآن أن ينسى السير منتصبًا، على الرغم من أنه أصر على تعليم طلابه أهمية السير بشموخ. عليه كذلك أن يتخلى عن التفكير العقلاني، وأن يستسلم تمامًا لطبيعة أرض المستنقع؛ التربة الرطبة التي تتفتت بين أصابعه والحشائش الصلبة التي يتشبث بها وتساعد على التقدم للأمام. والشجيرات المنخفضة التي عليه تجنبها لأنها تخدش ضلوعه، وأحيانًا الأحجار التي يشعر عند ملامستها بشيء من دفء النهار.

إذا مدد "كرافت" جسده على الأرض يمكنه أن يتجنب الرياح. كان يرفع رأسه بين الحين والآخر محاولاً تحديد الاتجاهات. فجأة بدا له أن الضباب يمكن اختراقه، وظن بأنه بدأ يرى بعض الأضواء بوضوح. ربما يكون الآن قريبًا جدًا من القناة. نعم، إنه بالتأكيد على وشك أن يقترب من القناة. وُلد أملٌ جديدٌ بداخله. ثم فجأة انقشع الضباب تمامًا وتطاير مثل ستارة خفيفة من الحرير والدانتيل ليكشف الوادي بأكمله. رأى أمامه بريقًا ووميضًا لا نهاية لهما. بحرٌ من الضوء، ومجموعة من عواميد الإنارة البرتقالية. ورأى ووميض أضواء مدرج الطائرات، وألاف النوافذ

المستطيلة الصفراء، وأضواء السيارات تذهب وتأتي. انعكست تلك الأضواء لتنير السماء وتضفي إضاءة رقيقة على المستنقع.

لم يسمع شيئاً قبل انقشاع الضباب، وكان ذلك الضباب أشبه بسدادات الأذن، لكنه يستطيع الآن أن يسمع الأصوات الصادرة عن خلية النحل المحيطة به؛ أصوات السيارات وأجهزة التكييف وأناس يعملون على المستقبل التكنولوجي. نهض "كرافت" من الماء. كان عارياً، ولكن شامخاً، على الرغم من أنه أصبح عرضة للرياح مرة ثانية. وهناك على مسافة أقل من ثلاثمائة متر امتد أمامه مركز العالم، محرّك التقدم، مهد المستقبل يومض ويتلألأ ويشع. لم يعد يستطيع التنفس. شعر بالانكسار، وصرخ قائلاً: "يوهانا، يوهانا ماذا فعلت لتغضبي هكذا؟". انهار "كرافت" ساقطاً على ركبتيه وغطى وجهه بكفيه في حركة مثيرة للشفقة غير مناسبة لشخصيته تماماً. وكأنه يحمي نفسه من حضارة "وادي السليكون" التي تتناقض بشدة مع حالته التي يرثى لها.

ووسط ظلام كهوف ثنانيا كفيه التي تنبعث منهما رائحة الطين والأعشاب والأسماك والبحر استسلم "كرافت" تماماً لشعور بالذنب. شعور لا يمكن تحديد سببه بوضوح. لكنه تاه في هذا الشعور مثلما يتوه في مدينة قديمة مظلمة. بدا له أن هناك شيئاً يحدث خلف أسوار المدينة بعيداً عن أنظاره. "كرافت" لا يعرف إذا كان الشعور بالذنب يرجع إلى الشر المحيط به، أم أنه يشعر بالذنب لعدم تصديه لذلك الشر؟ لكن لا يمكن اتهامه بأنه لم يحاول منعه. فقد حاول بكل قواه العقلية أن يدفع الأبواب، لكنها لم تتحرك

سنتيمترًا واحدًا، وظل محتجزًا وأثهم بالتقاعس. سمع صدى صوت من بعيد يردد اسمه بلكنة أمريكية عبر الشوارع المهجورة لتلك المدينة المظلمة: "ريتشارد، ريتشارد".

غادر "كرافت" المدينة المظلمة، وأبعد كفيه عن وجهه. ترك وراءه تلك الكهوف العفنة، وقفز على ساقيه على الرغم من الألم وأخذ يسير الى الأمام وهو يعرج باتجاه الصوت. يسمع الآن أيضًا صوت محرك قارب ويرى ضوء كشاف يجوب أنحاء المستنقع. رأى "هيرب" يقف هناك في القناة ويقود قاربًا مطاطيًا وينادي اسمه بقوة. صرخ "كرافت": "أنا هنا، أنا هنا". استدار "هيرب" وأرسى القارب المطاطي على شاطئ المستنقع. عرج "كرافت" الأمتار الأخيرة وشعر بالضوء مسلط عليه. ظل "كرافت" واقفًا مثل حيوان أمام ضوء الكشاف وخفض ذراعيه. ففز "هيرب" من القارب وذهب إليه. قال "هيرب" لـ "كرافت" وهو يضع بطانية على كتفيه: "لقد فقدت بنطلونك يا رجل". أخذ "كرافت" يبكي.